مقدمة لكتاب شرح الخبيصي
على متن تهذيب المنطق

تأليف

مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني

(٧٢٢-٧٩٣هـ)

قدم له

الأستاذ الدكتور/ عبد الله محيي عزب

أستاذ العقيدة والفلسفة

ووكيل كلية أصول الدين بالقاهرة

رقم الإيداع ٢٠٠٥/١٨٥٢٠م
الترقيم الدولى 977-224-435-0

المولىٰ عز وجل حين أراد للإنسان الهداية إلىٰ طريق الحق والصواب، جعل له أسباباً توصله للمعرفة والعلم؛ وهذه الأسباب هي الحواس الخمس الظاهرة السليمة من الآفات، وهي اللمس والبصر والسمع والشم والذوق، كما وهبه الحواس الباطنة التي منها الحس المشترك، والذاكرة، والحافظة، والعقل، قال تعالىٰ: {وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨].

ومما لاشك فيه أن العقل هو الذي يميز الإنسان ويفصله عن باقي أفراد الحيوان، ومن آجل هذا لا تكليف إلا بالعقل، وبدونه لا يوجد مجال للتلقي عن رسالة الوحي بوصفها سببًا أخرا للمعرفة والعلم والتوجيه، ولا مجال لمسئولية الخلافة الإنسانية وإعمار العالم دون وجود العقل، وإعمال دوره ووظيفته في الفهم والإدراك، والتمييز بين القطعي والظني من الأدلة، والتمييز بين المصالح والمفاسد، وهذا العقل هو القاسم المشترك بين جميع المخاطبين، فهو النور الذي يضيء للإنسان الطريق، فبه يميز بين الصواب والخطأ في الأقوال، وبين الحق والباطل في الأفعال والمعتقدات، فكان العقل بهذا سببا من الأسباب الموصلة للمعرفة والعلم، فبه يعتقد الإنسان، وبه يكلف، وبه يفهم ما كلف به، وبه يبحث في الطبيعة؛ ليستفيد من هذا الكون المسخر له.

وبالبحث والتفكر والنظر في الكون؛ يؤلف العقل بين معطيات الحواس، فيحلل ويركب، ويستدل، ويبرهن، ويستنبط ويخترع، ويبتكر، ويكتشف، وبإمكان أفراد الإنسانية جميعا أن يستفيدوا من الحواس والعقل، في معرفة كل

ما في العالم، وفي فهم العقيدة والشريعة والأخلاق.

ومما هو جدير بالذكر أن أدوات الحسّ، أو ما يسمّىٰ بالحواس الخمس الظاهرة، لا يستفاد منها إلا في مجال المحسوسات والجزئيات، بينما يستفاد من العقل في مجال المحسوسات والمجردات، والجزئيات والكليات، والإنسان العاقل يستفيد في معرفة العالم والحياة من الحسّ، ولكن في الغالب تكون المدرَكات الحسية أساسا ومنطلقا لأحكام العقل، أي أن تلك المدرَكات تصنع الأساس: للفكر وحُكمه، ومن هنا يحتاج كل طلاب العلم في شتىٰ العلوم والتخصصات إلىٰ المنطق علىٰ أساس أنه معيار لضبط الأحكام العقلية، أو ميزان للأفكار التي يصل إليها العقل عن طريق المدركات الحسية.

وإذا كان الله تعالىٰ خلق الإنسان وكرمه بالعقل وكلفه بالتكاليف الشرعية، كما جاء في قوله تعالىٰ: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢]، فالذي خلق الإنسان وكلفه بالتنزيل الذي نزل علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين؛ خلق فيه العقل، وحتىٰ يؤدي العقلُ وظيفته علىٰ الوجه الصحيح لابد له من قواعد ومسلمات وبراهين ينطلق الفكر منها، ويبني عليها آراءه واجتهاداته في البحث عن المجهول بالمعلومات التصورية أو التصديقية المتاحة له، والتي يعرفها بالفطرة السليمة أو التحصيل، وهذه القواعد والمسلمات هي ما أطلق عليه فيما بعد اسم المنطق.

وإذا كان ميزان الشرع هو الكتاب والسنة، فإن ميزان العقل هو المنطق،

لأنه يعصم الذهن عن الخطأ في الفكر، كما أن علم النحو يعصم اللسان عن الخطأ في الكلام، وعلم العروض يضبط القافية في الشعر، ولذلك نجد الفارابي يرىٰ في هذا الشأن أن نسبة صناعة المنطق إلىٰ العقل والمعقولات، كنسبة صناعة النحو إلىٰ اللسان والألفاظ، فكما يعطينا علم النحو قواعد وقوانين في الألفاظ، فإن علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات.

وجاء الإمام الغزالي بعد الفارابي وتبنىٰ وجهة نظره، حيث أكد علىٰ أهمية المنطق كمعيار لسائر العلوم فقال:" فيكون بالنسبة إلىٰ أدلة العقول، كالعروض بالنسبة إلىٰ الشعر، والنحو بالإضافة إلىٰ الإعراب، إذ كما لا يعرف منزحف الشعر عن موزونه إلا بميزان العروض، ولا يميز صواب الإعراب عن خطئه إلا بمحك النحو، كذلك لا يفرق بين فاسد الدليل وقويمه، وصحيحه وسقيمه، إلا بهذا الكتاب[١]، فكل نظر لا يتزن بهذا الميزان، ولا يعاير بهذا المعيار، فاعلم أنه فاسد العيار غير مأمون الغوائل والأغوار"[٢].

ويرىٰ الفارابي أن قوانين المنطق لا تخص ألفاظ أمة ما كما في قوانين علم النحو، بل تعم ألفاظ جميع الأمم، فهو يُعنىٰ بالألفاظ لا من حيث هي ألفاظ، وإنما من حيث هي قوالب للمعاني، ويخاطب العقل الإنساني بأسره في كل زمان ومكان، وفي كل لغة من اللغات، وعليه فإن النحو خاص، بينما المنطق عام[٣].

---

(١) المراد بقوله إلا بهذا الكتاب: أي العلم الذي يبحث فيه هذا الكتاب وهو المنطق.

(٢) معيار العلم في المنطق: للإمام أبي حامد الغزالي: شرح أحمد شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص ٢٦ وما بعدها.

(٣) راجع: أبو نصر الفارابي الألفاظ المستخدمة في المنطق: تحقيق محسن مهدي، ط: دار المشرق، بيروت، لبنان، د.ت، الطبعة الثانية، ص ٤١ وما بعدها.

وأخيرا فإنني أرجو الله عز وجل أن ينفع الطلاب بهذا الكتاب، ومنه سبحانه وتعالىٰ التوفيق والسداد، وإليه المرجع والمآل ، هذا والله سبحانه وتعالىٰ أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨].

تاريخ علم المنطق ونشأته

إن كلمة منطق من حيث الاشتقاق اللغوي تعني النطق أو الكلام، ولا تعني كلمة النطق هنا مجرد خروج الألفاظ من المتكلم، بل تدل أيضا علىٰ إدراك المعاني العقلية الكلية التي يكون الإنسان علىٰ وعي بها في أثناء الكلام، لأن التكلم عبارة عن بيان ما هو مخزون في الذهن، ولذلك عبر الفلاسفة القدماء عن النفس الناطقة بمعنىٰ المدركة للمعقولات، يقول التهانوي: "وإنّما سمّي بالمنطق لأن النطق يطلق علىٰ اللفظ، وعلىٰ إدراك الكليّات، وعلىٰ النفس الناطقة، ولما كان هذا الفن يقوّي الأول، ويسلك بالثاني مسلك السّداد، ويحصل بسببه كمالات الثالث، اشتق له اسم منه وهو المنطق"(١).

أما عن بداية نشأة المنطق من الناحية التاريخية، فلا يعرف أحد علىٰ وجه الدقة متىٰ بدأ هذا العلم، ويرىٰ بعض الباحثين أن المنطق وجد في الحضارة الهندية القديمة، وخاصة عند المدرسة الهندية التي تسمىٰ "سامكيهيا" وذلك في القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

ويذكر ول ديورانت أن (جوتاما) الهندي الذي وجد في القرن الثالث قبل الميلاد يشبه أرسطو في النظريات المنطقية، فيقول عنه: "كان هداية الحائرين في الصراع الذي يقوم بين المتناظرين من فلاسفة الهنود، فهو يصوغ لهم مبادئ الحجاج، ويعرض عليهم أحابيل النقاش، ويحصر المغالطات الشائعة في التفكير، وتراه كأنما أرسطو آخر يلتمس بناء التدليل العقلي في طريقة

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي، تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: أولىٰ، ١٩٩٦م، جـ١ / ص ٤٤.

القياس، ويجد عقدة كل تدليل في الحد الأوسط من حدود القياس"(١).

ويفهم من هذا النص أن المنطق كان موجودا في الهند في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح، سواء أكان ذلك من اكتشاف الهنود، أم عن طريق الالتقاء بحضارة اليونان أو غيرها.

ويرىٰ بعض الباحثين أن المنطق وُجِد عند الصينيين القدماء في القرن السادس قبل الميلاد، فقد اهتم المفكرون الصينيون في ذلك القرن بالمنطق عناية فائقة، وقد ظهر ذلك في كتابات كونفوشيوس الحكيم، من خلال استخدامه للأقيسة والبراهين المنطقية، ولم يُعْثَرْ علىٰ شيء مما كتبه الصينيون في المنطق غير كتاب واحد اسمه "مي- تي".

بينما يرىٰ بعض الباحثين أن المنطق وُجِد عند المصريين القدماء، حتىٰ إن المناطقة من مفكري اليونان كانوا يأتون هياكلهم ويتتلمذون علىٰ أيديهم.

والذي عليه أكثر الباحثينِ أن علم المنطق من إدراك واكتشاف فلاسفة اليونان، وخاصة أرسطو طاليس (٣٨٤-٣٢٢ ق.م).

ولا شك في أنه يجب التفريق بين كون المنطق معرفة وسلوك عند كثير من الناس، وبين كونه علما مدونا مشتملًا علىٰ مسائل التصورات والتصديقات.

والحقيقة أن المنطق كمعرفة وسلوك هو نتاج معرفي لكل الحضارات السابقة، فهو ليس حكرا علىٰ أمة بعينها في الشرق أو في الغرب، بل إن كثيرا من

---

(١) قصة الحضارة: ول ديورانث: ترجمة: زكي نجيب محمود، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، جـ٣ ص، ٢٥٠.

الأفكار المنطقية موجود بوجود الإنسان، بمعنىٰ أن يستنتج الفرد نتيجة ما من مقدمات معينة، أو يصل إلىٰ فكرة ما؛ فيظهر له أنها متناقضة، مثل هذه الأفكار لا تقيد بحضارة معينة، ويؤكد هذا ما نجده اليوم عند كثير من العوام، ألا ترىٰ أن العامي أو حتىٰ الطفل إذا قلت له ماذا تفعل هذه الفحمة المتقدة إذا وضعت فوق قطعة من القماش، أليس يقول إنها تحرقها؟

فإن قلت له ولم ذلك؟

أليس يقول إنها نار؟

فهذا الذي يقوله العامي أو الطفل يرجع إلىٰ قياس منطقي، هو قولنا هذه نار، وكل نار محرقة، لينتج أن هذه النار محرقة.

وفضلا عن ذلك، كثيرا ما نسمع في حياتنا اليومية عبارات هي من صميم علم المنطق ممن لا يقرؤون ولا يكتبون، فيقولون مثلا: فلان تفكيره منطقي، أو أن هذا الأمر بديهي، أو أنه فيه نظر، أو أنا غير قادر علىٰ تصور هذا اللفظ، أو يلزم من كلامك كذا، أو فلان متناقض مع نفسه في كذا، ومثل هذه العبارات تذكر بشكل عفوي، ولكنها تشكل موضوع علم المنطق، ذلك العلم الذي انتظم علىٰ هيئة نسق متكامل بعد تدوينه، وهكذا نجد كثيرا من العوام يعرفون كثيرا من القواعد المنطقية، ويمارسون حل القضايا والمناظرات وهم لا يعرفون كلمة منطق، وبهذا يظهر لنا أن كثيرا من الناس منطقيون منذ الساعة الأولىٰ التي بدءوا فيها يحسنون استخدام الألفاظ وصناعة الكلام، وهذا يذكرنا بقول "موليير" في إحدىٰ مسرحياته أن "جوردان" قال بعد أن تعلم متأخرا علم النحو، لقد قضيت أربعين عاما وأنا أجيد كتابة النثر قبل أن أتعلم

علم النحو[1].

ومما سبق يظهر لنا أن كثيرا من الناس يستخدمون المنطق في محادثاتهم اليومية، وفي ما يدور بينهم من مناقشات دينية أو سياسة دون أن يشعروا أنهم يسيرون علىٰ قواعد المنطق، ولو علموا ذلك لاعتراهم من الدهشة والعجب ما اعترىٰ "موليير" الذي كان يتكلم النثر وهو لا يدري.

وإذن فعلم المنطق موجود في العقل بالغريزة والفطرة، ولهذا استعمل الناس المنطق كمعرفة وسلوك في أقوالهم وأفعالهم لكن بشكل عفوي كما ذكرت لا كعلم مدون، وذلك مثل علم النحو، فإنه كان مستخدما عند العرب قبل تدوينه علىٰ يد أَبُو الأَسْوَدِ الدؤَلِي[2].

أما معرفة المنطق كعلم مدون، فالذي عليه أكثر الباحثين أن تدوين المنطق بدأ علىٰ يد فلاسفة اليونان وخاصة أرسطو، وهذا يدعونا إلي كتابة تاريخ نشأة المنطق في بلاد اليونان وتطوره بعد ذلك فيما يلي:

نشأة المنطق في اليونان:

في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام، اهتم أهل (أثينا) عاصمة

---

(١) راجع: المنطق: د. محمد مهران، ط: دار المعارف، مصر، د. ت، ص ٣.

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان، كان من كبار التابعين، من أصحاب علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وهو أول من وضع النحو، وقيل إن عليًا- رضي الله عنه- وضع له: الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم، وفعل ،وحرف، ثم رفعه إليه وقال له: تمم علىٰ هذا، راجع تاريخ الثقات: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلىٰ الكوفى، نشر: دار الباز، القاهرة، ط: أولىٰ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤م، ص ٢٣٨، ووفيات الأعيان: لابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر، بيروت، د. ت، جـ٢ / ص ٥٣٥.

اليونان بالجدل والمناقشة، لقلة ما لديهم من العلوم، مع ما كانوا عليه من الذكاء، فاتجهوا نحو الخطابة العامة والجدل؛ لما كان يتطلبه عصرهم من جودة المناقشة، حتىٰ يستطيع الواحد منهم أن يدافع عن نفسه أمام القضاء إذا دعت الحاجة إلىٰ ذلك، وحتىٰ يستطيع أن يستميل القاضي بحسن نقاشه وجودة دفاعه.

وفي النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد قدم إلىٰ (أثينا) قوم من مستعمرات الدولة اليونانية، يُلَقَّبُون بالسفسطائيين، كانوا يجيدون التلاعب بالألفاظ، وكان لديهم مقدرة ومهارة عالية في قلب الحقائق، والتشكيك في كل شيء، واشتهروا بالبراعة في فن الخطابة، والقدرة علىٰ الجدل والمناظرة، لا لهدف الكشف عن الحقيقة، ولكن لهدف تزييف الحقائق، والمغالطة، وغلبة الخصوم.

إلىٰ جانب رذيلة أخرىٰ: وهي الاتجار بالعلم واتخاذه وسيلة للكسب وجمع الأموال، ومن ثم بثُّوا في المجتمع اليوناني أفكارًا سيئة وهدامة، وذلك عن طريق تعليم الأحداث مختلف العلوم، وخاصة فن الخطابة، وبنوا تعاليمهم علىٰ فكرة الإنكار للحق، وقرروا أن المعرفة أمر نسبي، علىٰ اعتبار أن الحواس هي المصدر الوحيد لها، وتجاهلوا الجانب العقلي في الإنسان، وبهذا يستحيل وجود مقياس للحق، وأن الحقيقة أمر وهمي؛ لأن الناس يختلفون فيها، فما يراه الفرد صدقا فهو صدق، وما يراه كذبا فهو كذب، وما يراه حقا فهو حق، وما يراه باطلا فهو باطل، وإن رأىٰ الناس جميعا عكس ما يرىٰ، وترتب علىٰ ذلك أيضا عدم وجود مقياس لفضيلة الخير ورذيلة الشر،

فكل فرد له أن يختار ما يريد، فالخير ما ظنَّه الفرد خيرًا، والشر ما ظنه الفرد شرًّا، وكل على صواب فيما يراه أو يعتقده، وبالجملة لا توجد حقيقة ثابتة على الإطلاق، وبذلك جردوا القيم عن مضامينها، ومن هنا سادت الفوضى في الأقوال والأفعال والاعتقادات، وكان غرض السفسطائيين بذلك المنهج الذي سلكوه، قلب الدولة اليونانية، والقضاء على عقائدها الدينية(١).

وما زالوا كذلك حتى ظهر (سقراط) فرأى أنه من الضروري إخراج ماهو كامن في صدور الناس من الأفكار، فأخذ يعلم ويرشد الشباب، متبعا في ذلك منهج "التهكم والتوليد" من خلال حواره ومناقشاته مع تلاميذه، حتى يصل الواحد منهم بنفسه إلى كشف حقيقة الخير أو الشر، ويقف على ماهية الفضائل الأخلاقية.

وسلك سقراط في تعليمهم طريقة السؤال والجواب؛ فكانت عادته السير في الطريق ومحادثة الناس، ووضع أسئلة لهم، ثم البرهنة على أن معلوماتهم ظَنّيَّة، ثم إقناعهم بالانتقال من نقطة إلى أخرى، حتى يَتَّضِحَ الحق، وهكذا اشتغل باستنتاج القواعد من الأسئلة لتلاميذه، وبيَّن للناس طريق الحق من الباطل.

وبذلك تصدى سقراط للسفسطائيين واستطاع بجدله ومناظراته لهم إثبات حقائق الأشياء، وإقرار المعرفة العقلية، إلى جانب تصحيح المعرفة الحسية، حيث أبان لهم أن الحواس وإن كانت تخدعنا في العرضيات

---

(١) راجع: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٠٠هـ ١٩٣٦م، ص ٥٧.

والصفات الجزئية، فإن وراء الحواس عقلا يمحص وينقد ما تنقله إليه الحواس من إدراكات، فيميز بين الحق والباطل، والصواب والخطأ.

كما بين لهم أن هناك غير هذه الصفات الجزئية التي تنقلها لنا الحواس حقائق كلية يدركها العقل، ولا تختلف فيها العقول، ومن ذلك مثلا إن كانت الحواس تختلف في الأمور العرضية، كطول الإنسان أو قصره أو لونه، فإن العقول لا تختلف في حقيقة الإنسان الكلية، وهي أنه حيوان ناطق،- أي مفكر- وبذلك قضىٰ سقراط علىٰ الأفكار السيئة التي بثها السفسطائيون في المجتمع اليوناني.

ولما كان السفسطائيون يعتمدون في جدلهم علىٰ اشتراك الألفاظ، وإيهام المعاني دون تحديد لها، كانت عبارة سقراط الشهيرة في مخاطبته لهم "حَدِّدوا ألفاظكم"، ومن ثَمَّ نشأ الكلام في التعريف، الذي علىٰ أساسه تتم القضايا التي يتناقش فيها الناس، وبذلك قرر سقراط أن لكل شيء ماهية هي حقيقته التي يدركها العقل وراء الأعراض المحسوسة، والتي يعبر عنها بالحد أو التعريف، وأن غاية العلم هي إدراك هذه الماهيات، أي تكوين معان لها تحد الأشياء في ذاتها، وهي المعاني الكلية، أو الصفات المشتركة بين أفراد النوع الواحد، كالحيوانية، والناطقية بالنسبة للإنسان، والجسمية والنمو بالنسبة للنبات، والجسمية المطلقة بالنسبة للجمادات، فهذه المعاني الكلية المشتركة بين الأفراد هي الماهية أو التعريف، وإدراكها هو المعرفة، وبذلك يكون العقل هو أداة تحصيل المعرفة دون الحواس التي اعتبرها السفسطائيون المصدر الوحيد للمعرفة.

وكذلك كان سقراط يستخدم الاستقراء فيتدرج من الجزئيات إلىٰ الماهية المشتركة بينها، ويحاول حد هذه الماهية حدا جامعا مانعا، كأن يحدد معنىٰ الخير والشر والعدل والظلم والتقوىٰ ...الخ، هادفا بذلك إيضاح المعاني والتمييز بينها، وكان يقسم الأشياء في أجناس وأنواع ليمتنع الخلط بينها، وقد كان سقراط بمنهجه هذا في المعرفة أول واضع للتعريف، وقد شهد له أرسطو فيما بعد بذلك، حيث قال عن سقراط: "إنه أول من طلب الحد الكلي طلبا مطردا، وتوسل إليه بالاستقراء، ويركب القياس بالحد، فالفضل راجع إليه في هذين الأمرين"(١).

والخلاصة أن سقراط يعد واضع مبحثي الاستقراء والتعريف.

ثم جاء من بعده تلميذُه (أفلاطون)، واتَّبَعَ طريقة أستاذه في التصدي للسفسطائيين، في قصرهم المعرفة علىٰ الحواس، وبين أن ذلك يؤدي إلي نتيجة حتمية، وهي استحالة التعليم والحوار، وبطلان الأدلة والبراهين، لأنه إذا كان كل إدراك حسي حقا ولا يقل قوة عن أي إدراك آخر، لزم أن يكون إدراك الطفل في مستوىٰ إدراك معلمه، لأن كليهما يحس الحقيقة، وإذن فيستحيل علىٰ أي معلم أن يعلم شيئا.

أما الأدلة والبراهين فلا فائدة في استعمالها لأن الحقيقة الخارجية معدومة، وكل إنسان له حقيقة شخصية، ولا يستطيع أن يقنع الآخر بما عنده، وفي هذا إلغاء للعقل.

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ص ٦٧.

وأيضا لو كانت الحواس هي المقياس الوحيد للحقائق دون العقل، للزم أن تشترك الحيوانات من العجماوات مع الإنسان المفكر في إدراك الحقيقة، لأنها تشترك معه في الجانب الحسي، بل لكان بعض الحيوانات أكثر إدراكا من الإنسان، لأن بعضها أقوىٰ منه في بعض الحواس، كقوة حاسة الشم عند الكلاب، وقوة الإبصار بالليل عند القطط، وكل هذه اللوازم باطلة.

وفضلا عما تقدم فقد شرح أفلاطون كل أبحاث سقراط العلمية بما فيها مبحثي الاستقراء و التعريف، وزاد عليه مبحثا منطقيا آخرا، وهو ما يسمىٰ بالقسمة المنطقية، التي تجعل العقل قادرا علىٰ تصور الأشياء علىٰ حقيقتها، وهذه القسمة تبدأ من الأعم في الكليات وهو الجنس، فتستخرج منه أنواعه حتىٰ تنزل إلىٰ البسيط منها وهو الأخص.

والقسمة المثلىٰ عند أفلاطون هي القسمة الثنائية، كأن نقول السياسة علم، والعلم ينقسم إلىٰ نظري وعملي، والسياسة تدخل في القسم الأول.

والعلم النظري ينقسم: إلىٰ علم يأمر وعلم يقرر، والسياسة تدخل في القسم الأول.

وهكذا يمضي أفلاطون في التقسيم حتىٰ يتعين تعريف السياسة بالحد.

والحقيقة أن أفلاطون كان له دور بارز في بناء علم المنطق، خاصة في طريقة جدله التي استفاد منها أرسطو فيما بعد، والتي وجد فيها معينا لتصنيف الكليات الخمس وهي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، يقول الدكتور علي سامي النشار: " ويظهر أفلاطون محاولا أن يعود إلىٰ روح

الحضارة اليونانية، وتردد بين الكم والكيف، وجمع بين الجدل الصاعد والجدل النازل ليفتح الطريق أمام أرسطو، ويظهر العقل من حيث هو منعكس علىٰ ذاته وبذاته، منطلقا إلىٰ آفاق أخرىٰ، ويضع منطق الماهية الساكنة..."[1]

وأثبت أفلاطون المفاهيم الكلية وأنها موجودة وجودا حقيقيا، باقية وخالدة، وهي تؤلف في مجموعها عالم المثل، أو العالم المعقول، ويقابلها الجزئيات المحسوسة الكثيرة المتغيرة وهي التي تؤلف العالم المحسوس، أو عالم الخيال، لكنها وإن كانت متغيرة وغير ثابتة؛ إلا أنها تبدو في صورة كلية ثابتة، هي الأجناس والأنواع كالحيوان والإنسان[2] ومن كل ما تقدم نرىٰ أن أفلاطون أخذ بمذهب أستاذه سقراط، وزاد عليه مبحث القسمة المنطقية.

يقول روبير بلانشي: " لا يجوز إنكار دور أفلاطون في التحضير للمنطق، ودوره أولا في اكتشاف رئيس لم يستثمره هو شخصيا، ولكنه أعلنه بوضوح كاف، وبالتالي فإننا نجد عنده في أواخر حياته ظهور فكرة موضوع المنطق بالذات، أي فكرة القانون المنطقي، فكما توجد قوانين تدير حركة الأفلاك الروحية، توجد قوانين تدير حركة الأحكام العقلية، مع مقارنة هي:

أن الأفلاك الروحية تحترم القوانين باستمرار، بينما نحن البشر ننتهك باستمرار القوانين التي تتحكم بمسار أفكارنا، لأننا لا نملك رؤية واضحة، ولهذا فإننا نقع في الضلال، ولاجتناب ذلك ينبغي علينا أن نعرف هذه القوانين

---

(١) مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د. علىٰ سامي النشار، ط: دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٨م، ص ١٧.

(٢) المرجع السابق: ص ٨٣ وما بعدها.

علىٰ نحو نتمكن فيه من الخضوع لها تماما"(١).

ثم جاء بعد أفلاطون تلميذه أرسطو طاليس، الذي فاق أستاذه وهذَّب أبحاث المنطق، ورتَّبَ مسائله وفصوله، وتحدث عن القياس والبرهان والجدل والسفسطة، ووضع قواعد تؤدي إلىٰ اليقين؛ ولهذا يعتبر أرسطو هو الجامع الحقيقي لعلم المنطق كما يقول المؤرخون، فهو أول من نظم المنطق بشكله التقليدي، حيث كان المنطق قبله يستخدم في طريقة الحوار المتبعة عند أفلاطون وسقراط وبقية فلاسفة اليونان من أجل الوصول إلىٰ اليقين المعرفي، في مجابهة السفسطائيين الذين ينكرون المعارف العقلية، وقد لاحظ أرسطو أن هذه الطريقة المتبعة قبله لا توصل إلىٰ اليقين؛ لكونها لا تقوم علىٰ مقدمات واضحة بينة بذاتها، بل إنها تؤسس علىٰ آراء وأفكار عامة بين الناس، وفقًا لتصوراتهم ومعتقداتهم الموروثة.

والطريقة العلمية الصحيحة- كما يرىٰ أرسطو- التي يمكن بها أن تكون الأداة الصالحة في تقويم تلك الآراء والأفكار تكون بواسطة الآلة (أورجانون).

ومع ذلك فإن أرسطو لم يستعمل كلمة منطق في أبحاثه، بل استعمل كلمة "تحليلات" والتحليلات عنده تمر بمرحلتين: التحليلات الأولىٰ، وهي القياس حيث يقوم بتحليل الفكر إلىٰ استدلالات؛ ومن الاستدلال إلىٰ

---

(١) المنطق وتاريخه من أرسطو حتىٰ راسل: ترجمة: د.خليل أحمد خليل، ط: ديوان المطبوعات الجامعي، الجزائر، المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، د.ت، ص ٢٩.

الأقيسة.

والتحليلات الثانية، هي البرهان، حيث ينتقل من القياس إلىٰ عبارات وحدود وبراهين بغية الوصول إلىٰ اليقين المنشود[1].

وعلىٰ أية حال فإن أرسطو قد وضع القواعد والشروط للمنطق، حيث بين أن أفعال العقل ثلاثة هي: البسيط والمركب واللازم.

فالأول: هو التصور البسيط، أو الساذج الذي يتعلق بمبحث المقولات.

أما الثاني: فهو التصور المركب، أو الحكم، ويخص مبحث القضايا التي ترتكز علىٰ: الموضوع والمحمول، ولفظة دالة فيما بينهما تسمىٰ الرابطة، وهذه الرابطة قد لا يصرح بها في القضية، فتكون ثنائية مثل قولنا: "محمد فان"، أو يصرح بها، فتكون القضية ثلاثية كقولنا: "محمد هو فان".

والثالث: الاستدلال أو الحكم بواسطة، وهو التصور اللازم في مبحث الاستدلال، حيث يتم الانتقال من الأشياء المعلوم صحتها؛ إلىٰ أشياء أخرىٰ داخلة ضمن نطاق هذه الأشياء المعلومة[2]، وهذا الانتقال يكون إما بالقياس، أو البرهان.

والقياس يتكون من قضيتين تسميان مقدمتين: كبرىٰ وصغرىٰ، فإذا سلمنا بهما؛ لزم عنهما بالضرورة قول ثالث يُسمىٰ نتيجة، مثل قولنا:

---

(١) راجع: المدارس الفلسفية: د. أحمد الأهواني، ط: مكتبة مصر، ١٩٦٥، ص ٦١ وما بعدها.
(٢) راجع: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ص ١٥١ وما بعدها.

أفلاطون إنسان : مقدمة صغرىٰ.

وكل إنسان فانٍ : مقدمة كبرىٰ.

أفلاطون فانٍ ∴ نتيجة.

أما البرهان: فهو الاستدلال الذي يقوم علىٰ مبادئ ضرورية، وأوليات عقلية يقينية، فهو قياس مقدماته تكون صادقة وسابقة في العلم علىٰ النتيجة، وذلك لكونها تُكشف للذهن بشكل بديهي جلي لا شك فيه، فضلًا علىٰ أنها لا تستمد من استدلال سابق، وإنما تُعرف بالحدْس العقلي المباشر.

أما المبادئ الضرورية أو الأوليات اليقينية فهي بينة واضحة بذاتها، مثل قولنا: أن الكل أكبر من الجزء، وأن السماء فوقنا، والأرض تحتنا، وأن ١ + ١ = ٢ .

ومما سبق يتضح أن أرسطو لم يستخدم كلمة منطق، وإن كان هو الذي هذبه ووضع قواعده، لا أنه اخترعه وابتكره من عند نفسه، والمنطق الذي تركه لنا أرسطو (أورجانون) الأداة أو الآلة، هو عبارة عن ستة كتب أساسية ألفت علىٰ الطريقة القديمة المألوفة في التأليف، وهي:

١ـ المقولات العشر، ومعنىٰ المقولات المحمولات، فالمقول علىٰ شيء أي المحمول عليه، والمقولات هي المعاني الكلية، والأجناس العالية، وهي:

(ا) الجوهر وهو: أعلىٰ الأجناس، ولذلك يسمىٰ بجنس الأجناس.

(ب) أجناس الأعراض التسعة وهي:

الكم، والكيف، والإضافة والأين، والمتىٰ، والوضع، والملك، وأن يفعل، وأن ينفعل.